



## Whither urban social geography? Recent developments

### التطورات الأخيرة في جغرافية الحضر الاجتماعية المحاضرة الرابعة عشر في جغرافية الحضر الاجتماعية باعتقاد كتاب نوكس و بنج

ترجمة بتصريف  
أ.د. مضر خليل عمر

- ماذا تعني "مدرسة لوس أنجلوس" لجغرافية الحضر ؟
- ما هي مزايا مدرسة لوس أنجلوس ؟
- ما هي العلاقات بين السينما والمدينة ؟

جغرافية الحضر الاجتماعية هي اليوم مجموعة متنوعة للغاية من الدراسات . هذا التنوع استحوذ عليه أحد الشخصيات البارزة في "الثورة الكمية" في الجغرافيا ، بيتر هاجيت ، الذي شبه جغرافية الحضر نفسها بـ "مدينة" : تضم مناطق مختلفة وبأعمار وحيوية متنوعة . فهناك بعض المناطق القديمة التي يعود تاريخها إلى قرن من الزمان ، وفي بعض الأحيان كانت هناك حاجة إلى الساحل الغربي للولايات المتحدة ، الذي تم تسليط الضوء عليه منذ عام ١٩٤٥ بواسطة هاريس وأولمان . وقد لفت الانتباه إلى انخفاض أهمية الحي التجاري المركزي ووجود العديد من المراكز اللامركزية المتنافسة في نموذج تعدد النويات . وكان هذا التشتت بالطبع ممكناً بفضل الاعتماد الواسع على السيارات .

كان هذا التشتت والافتقار إلى نمط معترف به موضوعاً رئيسياً طورته مدرسة لوس أنجلوس . ما وصفه (Soja 1989) بشكل مختلف بأنه عاصمة عالمية لما بعد الحداثة ، وكيان مجزأ جسدياً واجتماعياً . على عكس الصورة النمطية الشائعة ، فإن لوس أنجلوس ليست مدينة بلا مركز . في الواقع ، هناك عنصر قوي من التحديث في شكل مراكز القيادة المرتبطة بالاقتصاد العالمي الجديد ، لكن المدينة تتكون أيضاً من العديد من المناطق الفرعية ومدن الحافات . هذه ليست الضواحي الغنية على وجه الحصر في حقبة سابقة ولكنها تُظهر تباينات هائلة في طباعها ، بعضها صناعي أو تجاري والبعض الآخر فقير نسبياً و / أو أقليات عرقية مميزة . طور (Soja 1992) هذا الموضوع في مفهوم exopolis - المدينة التي تحولت من الداخل إلى الخارج . في مثل هذه البيئة ، يصعب على الأفراد الشعور بالانتماء إلى كيان واحد متماسك .

إن تجزئة وتنوع ثقافة ما بعد الحداثة تتجلى في التركيب المادي للمظاهر العمرانية . لقد تم صياغة مصطلح "مدينة المجرة" لوصف هذه المدن (لويس ، ١٩٨٣) . سبب هذه التسمية هو أن المراكز التجارية في مثل هذه المدن تبدو أشبه بالنجوم المنتشرة حول مجرة أوسع بدلاً من

مركز واحد يمكن التعرف عليه بسهولة . يستخدم (Knox 2008) مصطلح "المتروبوليا" لوصف المخاليط المجزأة والمتعددة المراحل من أماكن العمل والإقامة في المناطق الحضرية المعاصرة ، مع اندماجها في سمات بين خصائص الضواحي والمدن الوسطى .

### لوس أنجلوس ومدرسة كاليفورنيا

كانت الكتابات المتنوعة والواسعة لمدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع الحضري في أوائل القرن العشرين تعني أن شيكاغو قد أضحت مثلاً كلاسيكياً لمدينة صناعية . بطريقة مماثلة ، في السنوات الأخيرة ، كان هناك مجموعة واسعة من العمل الذي قام به عدد من العلماء المقيمين في كاليفورنيا ليعني أن لوس أنجلوس قد أصبحت بمثابة مدينة "ما بعد الحداثة" الأصلية (على سبيل المثال سكوت ، ١٩٨٨ ؛ سوجا ، ١٩٨٩ ، ١٩٩٦ ؛ عزيزي ومتقلب ، ١٩٩٨) . في الواقع ، قام هؤلاء العلماء - المتمركزين إلى حد كبير في كلية الدراسات العليا في العمارة والتخطيط الحضري في جامعة يونيفيرسيتي كوليدج في لوس أنجلوس - بتصوير لوس أنجلوس بوعي كونها نذيراً للأشكال الحضرية المستقبلية - مما شجع الآخرين على تصويرها على أنها "مدرسة لوس أنجلوس" (أو "مدرسة كاليفورنيا") . كما هو الحال في مدرسة شيكاغو السابقة ، هناك قدر كبير من التنوع في كتابات هذه المدرسة ، لكنها تشترك في عدد من الموضوعات الأساسية .

لقد تمحور الكثير من أعمال مدرسة كاليفورنيا في محاولة لربط ضواحي لوس أنجلوس المترامية الأطراف بمفاهيم مستوحاة من اللوائح التنظيمية حول نظام جديد للتراكم الحضري . يقال إن نظاماً جديداً للتراكم المرن يتجلى في ولاية كاليفورنيا في التجمعات التكنولوجية المتقدمة ، والصناعات الديناميكية ، والسوائل ، والإبداعية مثل تلك التي تنتج الأفلام والمجموعات الصناعية القائمة على العمال غير القانونيين أو ذوي الأجور المنخفضة . ومع ذلك ، فقد ناقش النقاد أن هذه المفاهيم ناتجة عن إعادة الهيكلة الصناعية واقتصادية والتركيز على تقديم تفسير مرض لعمليات لا تعد ولا تحصى على نطاق صغير للمشاركة في تشكيل بنية الحي السكني .

موضوع رئيسي آخر ينبثق من هذا العمل هو حادثة لوس أنجلوس . على الرغم من أن أصول المدينة الحالية يمكن إرجاعها إلى المستوطنة الأصلية من قبل المبشرين الإسبان في عام ١٧٨١ ، إلا أن لوس أنجلوس تعرض القليل من الإرث الصناعي للمدن الصناعية الكلاسيكية . فالأشكال الحضرية الجديدة التي تم إنشاؤها على بنية خاصة و "بجنون العظمة" : التطورات الحضرية مع البوابات والحواجز والجدران ، وحراس الأمن ، وأجهزة استشعار الأشعة تحت الحمراء ، وكشف الحركة ، وصلات الاستجابة السريعة مع إدارات الشرطة ومعدات المراقبة مثل الدوائر التلفزيونية المغلقة . تشكل هذه ما وصفه ديفيس بـ "المسح الضوئي" ، وكلها مصممة لاستبعاد من هم غير مرغوب فيهم .

غالباً ما يتم إنشاء هذه الأنظمة في المناطق السكنية ، لكن يمكن أيضاً اتخاذ تدابير استباقية في مراكز التسوق ومراكز المدن . وهكذا ، ففي بعض المركزية قد تم تطوير موضوع مهم آخر يعمل من خلال مدرسة كاليفورنيا كتدابير وقائية من قبل قطاعات المجتمع الأكثر ثراءً في بيئة يكون فيها العنف والجريمة روتينياً . وقد ينظر إلى هذا على أنه استجابة لتزايد الاستقطاب الاجتماعي . إن أحد مظاهر هذه التدابير الدفاعية هو نمو ما يسمى بعمارة القبو (التي تسمى أيضاً "القلعة" ، والأجزاء "المحصنة" من مقاعد حديقة لوس أنجلوس المنحنية بطريقة تمنع الناس من النوم عليها ليلاً . فلا عجب إذن أن يتحدث ديفيس (١٩٩٠) عن "عسكرة" حياة المدينة . ومع ذلك ، ليس المهمشين فقط هم الذين يخضعون للمراقبة في المدينة المعاصرة . فالتقنيات الجديدة تتمحور حول بطاقات الائتمان والولاء وأجهزة الكمبيوتر والدفع مقابل خدمة المنشآت تعني أن الشركات والحكومات يمكنها الوصول إلى كميات هائلة من المعلومات حول عادات السفر والاستهلاك لدى الأفراد .

### نقد مدرسة لوس أنجلوس

على الرغم من أن عمل مدرسة لوس أنجلوس كان بلا شك مؤثراً للغاية ، فإن السؤال الرئيسي الذي يطرح هو: ما مدى صحة لوس أنجلوس كنموذج عام للتطورات الحضرية

المستقبلية ؟ فعلى الرغم من أن أعضاء مدرسة كاليفورنيا تحوط بهم تعليقات مع العديد من المحاذير ، ومع الاعتراف بتاريخ لوس أنجلوس الفريد ، من الواضح أنهم يرون المدينة كممثل للأشكال الحضرية المستقبلية . ومع ذلك ، هناك العديد من المدن الأخرى في جميع أنحاء العالم الغربي مع العناصر المتبقية أقوى من الفترات السابقة وكذلك النظم السياسية والإدارية المختلفة . فعلى سبيل المثال ، لاحظ ماكنيل (١٩٩٩) أن المدن الأوروبية لها أشكالاً حضرية مختلفة وتقاليداً أقوى للحكومات الديمقراطية الاجتماعية ذات الميول اليسارية عن نظيراتها في أمريكا الشمالية . كما لاحظ هول (١٩٩٨) ، ليست الأشكال الحضرية هي التي تشكل العنصر الأكثر أهمية في عمل مدرسة لوس أنجلوس ، ولا ينبغي أن نفترض أن لوس أنجلوس هي الرائد الحضري المستقبلي . فلا ينبغي للمرء أن يبالغ في حداثة المدينة . وعلى سبيل المثال ، في حلقة الباريس والاحياء اليهودية التي تحيط بوسط مدينة لوس أنجلوس المحصنة حديثاً ، يشير ديفيس (١٩٩٢) إلى حلقة ذات سمات مشابهة لمنطقة الانتقال الكلاسيكية في فترة سابقة في شيكاغو . تعمل هذه المناطق الداخلية كمناطق استقبال كلاسيكية للمهاجرين إلى لوس أنجلوس وكذلك تجسيدا لعصابات المراهقين الكلاسيكية في حقبة سابقة (على الرغم من أن الأخيرة أصبحت الآن أكثر شمولا ، وتمتد إلى مناطق الضواحي).

الانتقاد الرئيسي الآخر ، ليس فقط لمدرسة كاليفورنيا بل لجميع النظريات التي تؤكد على تأثير ما بعد الحداثة على الأشكال الحضرية ، وهو الصمت بشأن مسألة العرق (Jacobs، 1996). هذا هو النقد الذي ينبثق من نظرية ما بعد الاستعمار . على الرغم من أن منظورات ما بعد الحداثة تدعي أنها تعبر عن تنوع الهويات في المدن ، إلا أن هذه النظرية لا تزال تشكل رؤية مركزية يتم فيها تعيين مجموعات المهاجرين للقيام بدور في الاقتصاد العالمي الجديد . ومع ذلك ، تشير نظرية ما بعد الاستعمار إلى أنه لا توجد رؤية مركزية واحدة ولكن هناك أيضاً آراء كثيرة من خارج المركز . كما لاحظت جين م. جاكوبس: ضمن حجج الاستقطاب الاجتماعي يتم ترجمة السياسة المعقدة للعرق إلى شكل مختلف من التمايز الطبقي المنتجة الآن أكثر اتساعاً والعولمة خادعة بتغيير الرأسمالية . يتم الاعتراف (الخاطئ) بسياسة الاختلاف ، الموضوعية ، وغالباً ما تكون غاضبة من الاختلافات ، كنتيجة ثابتة وهيكلية للميزة والحرمان .

من خلال هذه المناورة ، تنطلق سياسة العرق من تاريخ دستور يُحرم الاختلاف والمواضيع العرقية التي استولت عليها نظريات سياسة الهوية . فلا يوجد سباق كاف في هذه الحسابات للمدينة ما بعد الحداثة ، فالسياسة الثقافية للعنصرية غير مفعلة . يجادل نقد كبير ثالث لمدرسة لوس أنجلوس بأن رؤيتهم المذهلة لمدينة مجزأة قد كسرتها عمليات العولمة ببساطة لا تتناسب الحقائق . في الواقع ، يجادل جوردون وريتشاردسون (١٩٩٩) بأن المدرسة لديها موقف متعرج تجاه الأدلة الواقعية بشكل عام . فعلى سبيل المثال ، يجادلون بأن تأكيد Soja أن المجتمعات الطرفية المخطط لها كما هو الحال في San Bernadino تفتقر إلى الوظائف وبالتالي يحتاج سكان هذه المناطق إلى التنقل مسافات طويلة لا تقل عن ٤٥ دقيقة . بالإضافة إلى ذلك ، فإن التأكيد الذي يتم الاستشهاد به في كثير من الأحيان بأن لوس أنجلوس قد تأثرت بالاستقطاب الاجتماعي ، الذي يتم مواجهته بأدلة جوهرية الحراك الاجتماعي بين الفئات الاجتماعية في المدينة . ويجادل جوردون وريتشاردسون بأن العديد من المهاجرين اللاتينيين في لوس أنجلوس قد انتقلوا إلى ملكية المنازل وشكلوا طبقة متوسطة جديدة . كما تم انتقاد العولمة لتجاهلها العديد من العوامل المساهمة الأخرى بما في ذلك إزالة المؤسسات وتدمير المساكن ذات النوعية الرديئة ومشكلة المخدرات . التأكيد هنا على أن لوس أنجلوس قد أصبحت مركز القيادة العالمي في الاقتصاد ينظر إليها على أنها خاطئة لأن جميع البنوك الكبرى غادرت لوس أنجلوس . في الواقع ، يُقال إن منطقة الأعمال المركزية في لوس أنجلوس يمكن أن يكون مبالغاً فيها ، لأن فيها معدلات عالية جداً من الوظائف الشاغرة . تم تناول هذا السياق من النقد من قبل كاري وكيني (١٩٩٩) الذين يجادلون بأن مكانة لوس أنجلوس كمدينة عالمية جديدة قد تأكلت بشدة بسلسلة من النكسات . ويزعمون أن الكثير من نشاط الصناعات التحويلية في المدينة في النصف

الثاني من القرن العشرين كان يعتمد على الإنفاق الدفاعي في الفضاء الجوي خلال الحرب الباردة . عندما انتهى هذا النمو تعثرت وكانت أنشطة التصنيع جامدة بشكل ملحوظ (وغير مؤكد) في التكيف مع فرص السوق الجديدة .

### لوس أنجلوس: مدينة نموذجية؟

لا يوجد هنا مساحة كافية لمناقشة الانتقادات العديدة الأخرى حول تفسير مدرسة لوس أنجلوس من قبل كوري وكيني أو دحضهم . ومع ذلك ، من الأسئلة الرئيسية الأوسع نطاقاً التي أثارها عمل مدرسة LA هي مدى فائدة مفهوم مدينة نموذجية (أي مدينة تعرض بشكل أوضح من غيرها الأنماط والعمليات الحضرية الرئيسية في فترة معينة) . يجادل كاري وكيني بذلك يبدو أن مفهوم مدينة نموذجية يتعارض مع تركيز مدرسة لوس أنجلوس وغيرها من تركيز ما بعد الحداثة على التنوع والتشردم والافتقار إلى البنية الموحدة .

علاوة على ذلك ، من المفارقات ، أن فكرة "عريزي وفلورستي" عن رأسمالية كينو يمكن عدّها تديم النظرة الحداثيّة المنفصلة إلى المدن التي كانت تنتقدّها (بيوريجارد ، ١٩٩٩) . وبالتالي يقال أن هناك القليل من الثراء الثقافي للمدينة في استخدامهما المكثف للمصطلحات الجديدة لوصف الفئات الاجتماعية المختلفة في مدينة ما بعد الحداثة (مثل cybergeoisie و protosurps!) (ليك ، ١٩٩٩) . في جزء كبير من عمل مدرسة لوس أنجلوس هو نقد لعمل مدرسة شيكاغو والسيطرة على جغرافية الحضر طوال القرن العشرين . ومع ذلك ، فقد قيل إن هذا النقد (مثلته مثل العديد من الآخرين من قبل) يركز على الجوانب المكانية لنهج مدرسة شيكاغو ، وعلى وجه الخصوص نموذج منطقة بورجيس المركزية وبالتالي يتجاهل الوريد الغني لمواد دراسة الحالة للثقافات الفرعية المحلية في شيكاغو التي تم الحصول عليها من خلال أساليب البحث الإثنوغرافي (الأساليب النوعية مثل مراقبة المشاركين والمقابلات غير المنظمة) .

جادل أمين وغراهام (١٩٩٧) أن الميل إلى اتخاذ مجموعة محدودة من السياقات الحضرية كنموذج للتغيير العام لا يقتصر على أتباع مدرسة كاليفورنيا ، بل ينطبق أيضاً على أولئك الذين يعرضون مفاهيم المدن العالمية (مثل لندن ونيويورك وطوكيو) أو "المدن الإبداعية" (مثل برشلونة) . مردداً جوقة متنامية من المناطق الحضرية الأخرى إذ يقول المحللون إن المدن تتقاطع بشكل متزايد مع شبكات متعددة من الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، والكثير منها لا يرتبط ببعضه البعض . هذا ما يطلق عليه مدينة التعددية "مزيج من التناقضات والتنوع ، مسرح الحياة نفسها" (أمين وغراهام ، ١٩٩٧ ، ص ٤١٨) . يميز (Boyer 1995) بشكل مشابه بين "المدينة المتميزة" - المدينة المعزولة المخططة للمجموعات الأثرياء - و "المدينة المشوهة" - المساحات المهملة وغير المدارة التي تسكنها الفئات الأكثر فقراً . على نحو متزايد ، إذن ، لا يمكننا تعميم نموذج للمدينة .

### السينما والمدينة

هناك مجال بحثي جديد نسبياً ، ولكنه سريع النمو ، في مجال البحوث داخل جغرافية الحضر الاجتماعية ، يتعلق بالعلاقات المتبادلة بين السينما والمدينة . هذا مجال مهم للتحقيق لسببين رئيسيين : أولاً ، تعد الأفلام أحد أهم أشكال التعبير الثقافي في المجتمعات الغربية المعاصرة . ثانياً ، تلعب المدن دوراً حاسماً في الحياة الاجتماعية اليوم . والنتيجة هي مجموعة معقدة من الروابط بين المدن والسينما . تتعكس هذه التفاعلات المتبادلة في الملاحظة التي استشهد بها الفيلسوف الفرنسي بودريلارد والتي تقول "يبدو أن المدينة الأمريكية قد خرجت مباشرة من الأفلام" (Baudrillard ، 1989) . من ناحية ، أثرت المدن بشكل كبير على تطور الفيلم . عكست الأفلام الأولى التحضر في بداية القرن العشرين . أعطت هذه الأفلام جماهيرها وجهات نظر جديدة حول المدن التي عاشوا فيها ، مع وجهات نظر عامة ، وتتبع لقطات وإغلاق المنبثقات . في الواقع ، هناك بعض أوجه الشبه بين السينمائي ومفهوم بنيامين للفلاور الحصري ، العربية غير الرسمية التي تراقب تنوع المدينة . وهكذا ، كل من مراقب الفيلم فالمشي في المدينة غالباً ما يكون قريبة جسدياً ، ولكنه بعيد اجتماعياً . من ناحية أخرى ، بينما تستمر حياة المدينة

في الهيمنة على الأفلام ، هناك أدلة متزايدة على أن الأفلام وصناعة السينما لها تأثير متزايد الأهمية على تطور الأشكال الحضرية الجديدة .

### الأفلام كنصوص منهجية

كان هناك جدل معقد داخل نظرية السينما حول ما إذا كانت الصور المتحركة لها أي وضع خاص كأشكال للتمثيل الثقافي . على سبيل المثال ، يلاحظ في بعض الأحيان أنه ، بالمقارنة مع العديد من الأشكال الفنية ، مثل اللوحات أو النحت أو الأوبرا ، والتي من الواضح أنها تمثل تمثيلاً مصطنعاً للعالم ، والأفلام يمكن أن تبدو كما لو أن ما يحدث على الشاشة أصيل و " حقيقي " . يشار إلى هذا أحياناً بالجودة الافتراضية للفيلم (بدءاً من المعنى السائد "للمس") . في الواقع ، ما يحدث في الصور المتحركة هو في كثير من الحالات حقيقي للغاية ، لا سيما عندما يكون له نعمات وثائقية . فعلى سبيل المثال ، يحتوي فيلم جون هيوستن *The Misfits* على مشاهد مروعة تصور أسر الخيول البرية . الرعب والذعر من جانب الخيول حقيقي ومثير للصدمة (كما هو الحال بالفعل ، كان رد الفعل المروع للنجمة مارلين مونرو) . كما يصف الكاتب J.M. Coetzee : على الرغم من كل الذكاء الذي تمارسه نظرية الأفلام منذ الخمسينيات من القرن الماضي لجعل الفيلم متماشياً مع كونه مجرد نظام آخر من العلامات ، هناك شيء مختلف بشكل لا يمكن اختزاله بشأن الصورة الفوتوغرافية ، أي أنها تحمل عنصراً حقيقياً أو الاثنين معاً . هذا هو السبب في أن سلسلة التقاط الخيول من *Misfits* مزعجة للغاية : من جانب واحد ، خارج مجال رؤية عدسة الكاميرا ، وجهاز من مخربين الخيول والمخرجين و اتحاد الكتاب والفيون الصوتيون في محاولة لتكيب الخيول في أماكن تم وصفها لهم في تصميم خيالي يدعى *The Misfits* ؛ على الجانب الآخر ، أمام العدسة ، حفنة من الخيول البرية التي لا تميز بين الممثلين ورجال الأعمال التقنيين والفنيين ، الذين لا يعرفون ولا يرغبون في معرفة سيناريو من إخراج آرثر ميلر الشهير ، اعتماداً على وجهة نظر الأسوياء الذين لم يسمعوا قط بمراكز الفساد الكابوسية والتهديد والرذيلة والجشع ، على الرغم من أن الكثير من هذا يعكس جنون العظمة أثناء الحرب الباردة (كروتنيك ، ١٩٩٧) . وقد تم تمثيل المدن كأماكن غير آمنة حيث نادراً ما تظهر الأشياء كما هي في الواقع . غالباً ما تم تصوير سكان المدينة على أنهم مضطهدون وغير صادقين وغير جديرين بالثقة . تعطل السرد من قبل الناس الذين يعانون من الأحلام والكوابيس والهلوسة . في الواقع ، هذا المزاج غالباً ما تم تعزيزه في الأفلام من خلال المشاهد الداخلية المظلمة مع الأقبية والسلالم أو المشاهد الليلية الخارجية في الأزقة الخلفية .

المحقق الخاص - كما شاع في روايات *Dashiell Hammett* وريموند تشاندلر - غالباً ما يكون شخصية محورية في مثل هذه الأفلام . كما كتب ريموند تشاندلر الشهيرة عن هذا النوع من المباحث ، فشخصياتهم تعيش في العالم ذهب خطأ حيث كانت الشوارع مظلمة مع شيء آخر غير الليل . ومع ذلك ، فإن المباحث في أيدي تشاندلر هي الفارس الحديث في درع لامع ، أسفل هذه الشوارع يعني أن الرجل يجب أن يذهب ، فالمحقق الخاص هو جهاز مفيد بشكل خاص في فيلم نوير لأنه ، أثناء أدائه لواجباته (وتكون العين الخاصة عادة من الذكور) ، يمكنه التحرك بسرعة بين الطبقات المختلفة في المدينة ، الأغنياء والفقراء ، الصادقين والفاستدين . ترتبط هذه الطبقات بمختلف الوحدات السكنية المناطق في المدينة ، والمباحث في فيلم نوير هو دائماً في التنقل بين هذه المناطق . ومع ذلك ، من المفارقات ، مع الاستخدام المكثف لمشاهد الاستوديو الداخلية المظلمة في هذه الأفلام ، فإننا نحصل على القليل من جغرافية المدينة . الأفلام الرئيسية من هذا النوع هي المالطية فالكون (جون هيوستن ، ١٩٤١) استناداً إلى رواية هاميت الذي يحمل نفس الاسم وشاندلر ذا بيج سليب تأثير الفيلم على المدينة كما هو معروف على نطاق واسع .

تحتوي لوس أنجلوس على ضاحية هوليوود ، وهي المركز الذي يهيمن على تمويل وإنتاج وتوزيع غالبية أفلام العالم . على هذا النحو ، لم تجد أي مدينة صوراً متحركة . على الرغم من شعبية فيلم noir في الماضي ، فإن الصورة السائدة للوس أنجلوس في الأفلام كانت

مختلفة . فالمزاج يغلغ في الغالب من الحدود الغربية ولكنه في هذه اللحظة يشهده في الجسد بأكثر الطرق المؤلمة . فالخيول حقيقية ، والأقزام حقيقيون ، والممثلون حقيقيون ؛ إنهم جميعاً في هذه اللحظة ، يشاركون في قتال رهيب يريد الرجال فيه إخضاع الخيول لفهمهم وترديد الخيول الفرار ؛ الكل الآن و ثم تصرخ المرأة الشابة وتصرخ . كل هذا حدث بالفعل ؛ وهنا هو ، أن نعيش لفترة عشرة آلاف مرة أمام أعيننا . من يجرؤ على القول إنها مجرد قصة؟ ومع ذلك ، في السنوات الأخيرة ، تعرض هذا للفيلم لانتقادات كثيرة ويشار إليه على أنه "مغالطة طبيعية" . ما أصبح واضحاً هو أن الأفلام انتقائية للغاية فيما تمثله . لذلك تعد الأفلام نصوصاً ثقافية مهمة ، مليئة بالروايات والخطابات المبنية اجتماعياً - ما يطلق عليه في سياق الصور المتحركة غالباً اسم tropes الكأس . مثل هكذا نموذج منتظم للنمط يظهر في سرد القصص (مثل انتصار الفرد على "النظام" في أفلام هوليوود) . تكشف دراسة الجوائز الكثير عن الأفلام وصناعة السينما والمجتمع الذي تمثله (وخاصة السياقات الحضارية التي فيها أطلقوا النار).

### تأثير المدينة على الفيلم

كان للمدن تأثيراً هائلاً على الفيلم . فعلى سبيل المثال ، بعض من أكثر العروض شعبية وتأثيراً في حياة المدينة في الصور المتحركة هي في شكل يعرف باسم فيلم نوير . قد يُنظر إلى هذا النوع من الأفلام ، الذي كان مميزاً في أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي ، على أنه مظهر من مظاهر شكل فني يسمى التعبيرية ، حيث سعى الرسامون إلى نقل المشاعر الإنسانية (كما في فيلم Van Gogh's Starry Night أو Munch's The Scream). سعى الفنانون الألمان على وجه الخصوص ، بما في ذلك إرنست كيرشنر وإريتش هيكل وكارل شميدت ورتولف ، إلى تصوير جيل شوه عاطفياً بعد الحرب العالمية الأولى .

لقد فعلوا ذلك بتمثيل المدن وسكانها كظلام مقلق . بعد الحرب العالمية الثانية ، تم نقل التعبيرية إلى هوليوود من قبل أولئك الذين فروا من الفاشية النازية وما أعقبها . واصل مخرجو فيلم "إميجري" في هوليوود تمثيل المدن التي تتميز بأشعة الشمس ، وركوب الأمواج ، والشواطئ ، وأشجار النخيل ، والاستهلاك الواضح ، والحركة الشخصية الواسعة النطاق القائمة على السيارات والطرق السريعة . ومن المحتم أن تحاول العديد من الأفلام تقب هذه الرؤية المهيمنة بالأفكار المتعمقة حول اللامساواة الاجتماعية والطبقة الحضارية ، والعنف ، والازدحام المروري ، وتعاطي المخدرات ، والاعترا ب . وفقاً لتون (٢٠٠١) ، توضح لوس أنجلوس الطريقة التي يمكن أن يؤثر بها الفيلم على السياسة المحلية والتنمية الحضارية . فالفهم الشعبي لتطور المدينة ، جنباً إلى جنب مع أنشطة النشاط الخضر والتشريعات البيئية في ولاية كاليفورنيا ، قد تأثرت جميعها بالحي الصيني (١٩٧٤) . قدم هذا الفيلم عرضاً عن تطور لوس أنجلوس ، على الرغم من أنه يمكن القول أنه تم التقاط بعض الحقائق الأساسية حول تطور مدن الولايات المتحدة ، إلا أنه كان في جميع النواحي الرئيسية عمل خيالي . لفهم تأثير هذا الفيلم بمزيد من التفصيل ، نحتاج أولاً إلى فهم واقع التنمية الحضارية في لوس أنجلوس .

تطورت لوس أنجلوس إلى عاصمة مترامية الأطراف يزيد عدد سكانها على ٢٠ مليون نسمة في منطقة طبيعية قاحلة . كما هو الحال مع جميع الاستشهادات ، كان من الأهمية بمكان لهذا التطور وجود إمدادات كافية من المياه . لذلك كان من الضروري للمدينة أن تحصل على المياه من أكثر من ٢٣٠ ميلاً شرقاً في جبال أوين سييرا نيفادا ونقلها إلى المدينة . وقد تم ذلك عن طريق نظام متقن من القنوات (كما هو موضح في الأفلام المستندة إلى لوس أنجلوس مثل Terminator 3). بدأ استخراج المياه الجوفية في عام ١٩٠٥ ، لكن الجفاف الناجم عن خفض منسوب المياه أدى إلى احتجاجات المزارعين المحليين ، وبلغت ذروتها في عام ١٩٢٤ باحتلال وقصف قناة محلية (والتون ، ٢٠٠١) . على الرغم من أن الاحتجاجات لم تنجح ، إلا أن محنة مزارعي وادي أوين أصبحت سبباً مهماً بين النشاط الاجتماعي في النصف الأول من القرن العشرين . ومع ذلك ، اشترت مدينة لوس أنجلوس تدريجياً المزارع داخل الوادي لتلبية احتياجات المدينة التي تبدو وكأنها غير قابلة للإشباع بالمياه . تنتقل القصة بعد ذلك إلى عام

١٩٧٤ وإطلاق الحي الصيني من إخراج المخرج اللامع والمثير للجدل رومان بولانسكي . تم تعيين فيلم المباحث "العتيق" في مدينة لوس أنجلوس الأسطورية لعام ١٩٣٧ ، وهو مكتمل بخلفيات من طراز آرت ديكو وسيارات كلاسيكية خلال هذه الفترة . في تقليد الفيلم نوير الشخصية المركزية هو شرطي سابق تحول إلى عين خاصة (جاك نيكولسون) الذي يكشف تدريجيًا عن مؤامرة في بيئة مفعمة بالفساد . مطورو المدينة مصممون على الاستحواذ سرا ، بطرق إجرامية ، على أرض للتطوير العمراني بتكلفة منخفضة (في هذه الحالة وادي سان فرناندو المجاور بدلاً من وادي أوين البعيد) . يتم رشوة المسؤولين في وزارة المياه والطاقة في لوس أنجلوس (LADWP) في إلقاء المياه سرا من خزانات المدينة في الليل في وقت الجفاف بهدف تكثيف نقص المياه وبالتالي كسب الدعم العام لبناء السدود والقنوات المائية والتوسع الحضري . يُفلس المزارعون المحليون المحرومون من المياه وتُفقد أراضيهم في وقت لاحق ثم الحصول عليها بتكلفة منخفضة بشكل مصطنع من قبل نقابة وهمية تعمل على إخفاء مصالح المطورين . خلال التحقيقات التي أجراها ، اكتشفت شخصية نيكولسون أيضًا قطعة فرعية من زنا المحارم التي يجادل والتون (٢٠٠١) أنها بمثابة استعارة جنسية للاغتصاب الحرفي من الأرض تُعد علامة "الحي الصيني" بمثابة كأس لفوز الشرطة القديمة لنيكولسون ، وهي تدل على الفساد المظلم الخفي للمدينة الخارج عن سيطرة الشرطة أو الحكم المدني . إن نتيجة السرد هي أن عامة الناس عاجزون نسبيًا ومغيبون عن الطابع الاستغلالي وغير الأخلاقي للتنمية الحضرية .

بعيدًا عن وضع مركز الصراع في وادي سان فرناندو بدلاً من وادي أوين ، فإن العنصر الخيالي الرئيسي في الحي الصيني هو فساد LADWP . و من المفهوم أن الكثير ممن شاهدوا الفيلم كانوا يميلون إلى الاعتقاد أن القصة تحمل بعض التقريب إلى الحقيقة . من المفهوم أيضًا ، بالتالي ، حساسية LADWP للتشهير بسمعتها ، خاصة وأن الفيلم يبدو أنه دفع الناشطين الأخضرين في كاليفورنيا إلى تقديم التماس لفرض قيود على استخراج المياه الجوفية . كان هذا هو الجدال الدائر حول رفض LADWP السماح لشركة أفلام باستخدام قناة وادي أوين في إنتاج دراما شبه وثائقية بعنوان Ghost Dancing حول تجيير إمدادات المياه (والتون ، ٢٠٠١) . إلى أي مدى يلتقط الحي الصيني روح التنمية الحضرية في مدن الولايات المتحدة والتي هي مسألة للنقاش ، ولكن ما يوضحه الفيلم هو قوة الأفلام في النقاط الخيال الشعبي والتأثير على السياسة المحلية .

مثال آخر على قوة السينما في التأثير على المدينة ، متحف هوليوود لإعادة التطوير ، وتجديد دور السينما الحالية ، وبناء العديد من المحطات الجديدة والفنادق ومنافذ البيع بالتجزئة . وبالتالي ، ستصبح هوليوود مرة أخرى مركزًا رئيسيًا في صناعة الأفلام . هذه خطة لإعادة تطوير أكثر من ١٠٠٠ فدان ، ومقرها في هوليوود بوليفارد ، لتصبح مركزًا للسياحة حول صناعة السينما . الهدف من ذلك هو استعادة هالسيون "العصر الذهبي" لهوليوود في الثلاثينيات والأربعينيات من خلال الفيلم الجديد .

عند التفكير في المظاهر المعاصرة للمدن في الأفلام ، من المهم أن نتذكر أن صناعة الأفلام هي في المقام الأول عمل تجاري . عادة ما ينطوي إنتاج الأفلام على مصاريف كبيرة ، حتى بدون الرسوم الضخمة التي يتقاضاها نجوم عالميون . تتطلب الأفلام التجارية عددًا كبيرًا من الموظفين المهرة أو الداعمين باهظة الثمن أو المؤثرات الخاصة أو براعم المواقع . علاوة على ذلك ، حتى الصيغ المقبولة جيدًا يمكن أن تتخبط بسهولة في شبك التذاكر . يعني هذا أن إنتاج الأفلام هو عمل محفوف بالمخاطر بطبيعته ، وإن كان إصابة الهدف الصحيح يمكن أن تكون المكافآت التجارية هائلة . ونتيجة لذلك ، يعتمد منتجو الأفلام في الغالب استراتيجيات مختلفة لتقليل مخاطر الفشل التجاري (يعتمد المزيج على الجمهور المستهدف) : اختبار الجمهور لإصدارات ما قبل الإنتاج من الأفلام ؛ التأكد من وجود نهاية سعيدة ؛ إعطاء الناس رؤية عن

أنفسهم يوافقون عليها ؛ تجنب أي استجواب جذري لوجهات النظر المجتمعية السائدة ؛ واستخدام الفكاهة لنشر المواقف الصعبة .

يمكن ملاحظة تأثير المقتضيات التجارية بوضوح في تمثيل حياة المدينة البريطانية في الأفلام التي كتبها ريتشارد كورتيس . هذه هي أكثر الأفلام نجاحًا تجاريًا التي تم إنتاجها في المملكة المتحدة على الإطلاق ، وتشمل *Four Weddings and a Funeral* و *Notting Hill* و *Love Actually* . بالإضافة إلى ذلك ، ساعد كورتيس في كتابة سيناريو يوميات بريديجيت جونز الناجحة . حياة المدينة في لندن كما صورها ريتشارد كورتيس (في ما يمكن أن يطلق عليه "كورتيسلاند") لديه عددًا من الخصائص المميزة . بادئ ذي بدء ، تميل أفلامه إلى عرض صورة "بطاقة بريديّة" مطهرة إلى حد ما عن المدينة . هذا هو أكثر من مجرد تعزيز هوية لندن مع بعض لقطات من الصور السياحية المركزية ، وهو جهاز يستخدم في العديد من الأفلام الموجودة في المدن .

بالإضافة إلى ذلك ، يتم تمثيل الأجزاء السكنية في لندن عادة باعتبارها "قرية حضرية" . في السلسلة الافتتاحية لفيلم *Notting Hill* ، على سبيل المثال ، تمشي الشخصية الرئيسية ويليام تاكر (الذي يلعبه هيو غرانت) للعمل في الشوارع الضيقة الخالية من حركة المرور والمليئة بالمتاجر الصغيرة . لا يوجد أي من متاجر التجزئة المتجانسة التي تميز الشارع البريطاني المتوسط (*Mazierska* و *Rascaroli* ، 2003) . ولا يوجد أي تلميح لجرائم الشوارع أو الأوساخ أو التلوث أو مشاكل النقل العام . في الواقع ، يصور نوتينغ هيل مليئة بالحدائق والمساحات والمساحات الخضراء . على الرغم من ظهور شخصيات معاقين ومثليي الجنس في الفيلم ، إلا أنه لا توجد إشارة إلى التنوع العرقي في *Notting Hill* أو ، في الواقع ، الميزة الوحيدة التي جعلت المنطقة مشهورة عالمياً (على الأقل قبل نجاح الفيلم) - الفيلم السنوي كرنفال الشوارع على الطراز الكاربيبي . يتم تمثيل الشخصيات المركزية ذات الطبقة الوسطى في الغالب في "كورتيسلاند" بطريقة تجعل من السهل التعرف عليها باللغة الإنجليزية لجمهور دولي أوسع ، ولكن في نفس الوقت بطريقة مقبولة أو على الأقل لا تسيء إلى جمهور المنزل . عادةً ما يكون هيو غرانت صديقاً للذات ، لكنه يواجه صعوبة في التعبير عن مشاعره (على النقيض تمامًا من بعض الشخصيات الأمريكية) .

تصبح "علامة تجارية" معينة ممثلة لسمات معينة ؛ على سبيل المثال ، تقوم فيلادلفيا بتسويق نفسها كمدينة نموذجية في أواخر القرن التاسع عشر . وهكذا لعبت دور أواخر القرن التاسع عشر في نيويورك في فيلم عصر البراءة . نجحت فيلادلفيا أيضًا في جذب أفلام أخرى في السنوات الأخيرة ؛ فيلادلفيا (بالطبع!) ، الحاسة السادسة واثنا عشر قردة . وقد عارض البعض الفوائد الاقتصادية الممنوحة للمدن بتشجيع التقاط الصور المتحركة . يشير النقاد إلى أن العديد من الموظفين المهرة يتم جلبهم من خارج مكاتب التوظيف في المدينة . أحد المظاهر النهائية لقوة الأفلام هو المنافسة الشديدة القائمة بين المدن لتصبح مواقعاً للأفلام التي تتطلب الإعداد في مكان معين . لذلك العديد من المدن لديها أقسام لأفلام استباقية للغاية مكرسة لجذب الأفلام . يمكن توفير الإجراءات : التمويل والإعفاءات الضريبية وتوفير الخدمات البلدية المخفضة ، والمساعدة في العثور على المواقع المناسبة والترتيب لإغلاق الشوارع أثناء التصوير . في حالة فيلم *The Sixth Sense* الذي تم تصويره في فيلادلفيا ، على سبيل المثال ، كان هناك حوالي ٣٠ شخصًا محليًا فقط يعملون لمدة ثلاثة أشهر ، مثلما حدث في مطعم كبير (Swann ، 2001) . لوضع الأمور في منظورها الصحيح ، تجدر الإشارة إلى أن ٣٥٠٠٠ وظيفة ضاعت مع إغلاق حوض السفن البحري القريب .

والمشكلة الأخرى هي أنه بمجرد اختفاء الجدة في فيلم ما ، يمكن للسكان المحليين أن يبدووا بالاستياء من الإغلاقات المتكررة في الشوارع والقيود المفروضة على الحركات في الأماكن العامة . ومع ذلك ، فإن رغبة المدن في القيام بدور نشط في صناعة الأفلام لا تظهر أي علامة على التناقص . أحد التفسيرات المحتملة لهذه الظاهرة هو تزايد إدراك أهمية الموهوبين

في تعزيز النمو الاقتصادي في مجالات مثل قطاعات التكنولوجيا المتقدمة والصناعات الإبداعية (التي تشكل الأفلام جزءاً لا يتجزأ منها). يمكن للأفلام أن ترفع من مكانة المدينة دولياً وأن تلعب دوراً رئيسياً في جذب المواهب .

### خاتمة: أين جغرافية الحضر الاجتماعية؟

أن جغرافية الحضر الاجتماعية هي مؤسسة شديدة التنوع ، سواء من حيث موضوعها وفي النهج المستخدمة. استعارة أخرى لتحل محل "مدينة الأحياء" في هاجيت قد تكون مفيدة في هذا السياق - نهر! يمكن عد جغرافية الحضر الاجتماعية كنهر ينمو من حيث الحجم والقوة وقد غذته العديد من الروافد على مر السنين . المصدر الأصلي هو عمل كلية شيكاغو للإيكولوجيا البشرية . في وقت لاحق جاء الدفق الفكري من العلم الاقليمي و علم الاجتماع الحضري . وفي الأونة الأخيرة انظم رافد كبير للدراسات الثقافية . بعض هذه التأثيرات ، مثل الجغرافيا الكمية ، التي تضاءلت في أهميتها ؛ و دراسة الإثنوغرافيا الحضرية . كما أصبح الموضوع أكثر تنوعاً ، فبدلاً من أن يكون مثل نهر قديم ، فقد تجدد وأصبح في أشكال جديدة . ومع ذلك ، في هذه المرحلة ربما تنهار الاستعارة الهيدرولوجية . في حين أن الأنهار القديمة تميل إلى التباطؤ مع تطورها ، فقد أظهرت جغرافية الحضر الاجتماعية ديناميكية متزايدة في السنوات الأخيرة . ومما لا شك فيه ، في أواخر الستينيات والسبعينيات ، كانت جغرافية الحضر في طليعة التطورات المنهجية في الجغرافيا البشرية ، مما يعكس النهج الكمية الأولى والاقتصاد السياسي لاحقاً .

وفي أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات ، تحت تأثير إعادة الهيكلة الهائلة للاقتصاديات الغربية ، أصبحت دراسة العمليات الاقتصادية والجغرافيا الصناعية هي المهمة وفي طليعة التطورات المنهجية . ففي أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات ، عندما نمت المجتمعات الغربية مرة أخرى في ثراء فاحش، ازدادت أهمية الدراسات الثقافية ، فكان هناك في البداية تحولاً في الجغرافيا البشرية نحو تحليل قضايا متنوعة مثل الاستهلاك والهويات وما بعد الاستعمار . ومع ذلك، في العقد الماضي ، احتلت المدن مرة أخرى مركز الصدارة في المناقشات الرئيسية في الجغرافيا البشرية . أن السبب الرئيسي لهذا التطور هو أن المدن تلقي الضوء على العديد من القضايا والأسئلة والمعضلات المعاصرة التي تجمع بين المصدرين الرئيسيين في الجغرافيا البشرية المعاصرة : ما يسمى بـ "الجغرافيا الاقتصادية الجديدة" و "الدراسات الثقافية" . و"على الرغم من أن القضية موضع خلاف كبير ، يجادل الكثيرون بأن المدن أصبحت مراكز رئيسية للابتكار والنمو الاقتصادي أثناء محاولتهم تعزيز "فئة إبداعية" . باختصار :

- تعد المدن حاسمة في إنشاء أشكالاً جديدة من الهويات في المجتمعات الغربية حيث تتفاعل المجموعات المتنوعة في بيئة قريبة نسبياً.
- تطرح المدن أسئلة مهمة حول الاستدامة الاجتماعية للتغيرات في المجتمع الغربي .